بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ}[البقرة/ ١٨٥]، من أسباب تعظيم الله تعالى لهذا الشهر نزول القرآن فيه؛ كما عظم الله ليلة القدر لنزول القرآن فيها، فجعل العبادة فيها خيراً من ألف شهر، وأعلا درجة وشرف نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم وأمته لنزول القرآن عليه قال تعالى:{وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ}[الزخرف/ ٤٤]، وقال:{لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}[الأنبياء/ ١٠]: أي شرفٌ لك ولقومك، فشرف هذه الأمة وعزها هو القرآن.

وهذا شهر الصيام والقرآن فما أحسن قراءة القرآن للصائم في رمضان، حينما يفرغ البطن، ويصفو العقل من كدر المأكولات والشهوات، حينها يكون للقرآن طعم آخر؛ فالطعام والشراب والشهوة تكسب القلب قسوة، والنفسَ غفلة، والجوارحَ ثقلاً وكسلا، فيأتي الصيام لينشط الفكر، ويذهب الغفلة، وبهذه الحال يمكن للقارئ التدبر.

فيتنعم القلب بالمعاني المؤثرة التي تزرع فيه حب هذا الكتاب وحب منزله العظيم، فيعظم ربه ويهابه، ويشتد خوفه أن يصل إليه غضبه أو تناله عقوبته، وكلما زادت قراءته وتأمله انكشفت له حقائق ودقائق لم تكن مرتْ عليه من قبل.

إن القرآن لا ينفع قارئه إلا إذا تدبره، والصوم زمان خصب لتحقيق هذه الغاية الحميدة، ومن الخطأ الكبير أن يكون الهم الأكبر للقارئ في رمضان وفي غير رمضان الوصول إلى نهاية السورة أو نهاية المصحف بإسراع القراءة وأكل الحروف والكلمات، والذي تميل إليه النفس هو أن القراءة بتدبر أفضل -وإن قلت- من كثير من القراءة بغير تدبر..

قال بعض السلف: (لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ إذا زلزلت، والقارعة، لا أزيد عليهما أرددهما، وأتفكر أحب إليّ من أهذّ القرآن ليلتي كلها)، والقرآن إنما أُنزل للتدبر الذي يعقبه العمل به، قال تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}[ص: ٢٩].

ولقراءة القرآن الكريم آداب حسنة يستحب للقارئ أن يتمسك بها ليكمل أجره، ومن تلك الآداب:

١-إخلاص النية في القراءة، مع حضور القلب وتعظيم الله تعالى؛ فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم، وَنَحْنُ نَقْتَرِئُ الْقُرْآنَ يُقْرِئُ بَعْضُنَا بَعْضًا، فَقَالَ:((الْحَمْدُ للهِ كِتَابُ الله وَاحِدٌ، فِيكُمُ الأَحْيَارُ، وَالأَحْمَرُ، وَالأَسْوَدُ، اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يَقْرَؤُونَهُ يُقِيمُونَ حُرُوفَ الْقُرْآنِ كَمَا يُقَامُ السَّهْمُ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ يَتَعَجَّلُونَ ثَوَابَهُ، وَلاَ يَتَأَجَّلُونَهُ)) اقرأوا القرآن قبل أن يأتي قوم يسرعون في تلاوته كإسراع السهم إذا خرج من القوس، يطلبون بقراءته عرض الدنيا لا جزاء الآخرة.

٢-الخشوع عند قراءته وهذه صفة أهل العلم العاملين به، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا}[الإسراء: ١٠٧ – ١٠٩].

٣-أن يستشعر بأنَّ كُلَّ خطاب في القرآن مُوَجَّهٌ إليه: فعليه أن يقرأ كما يقرأ العبد كتاباً خَصَّه به مولاه، يأمره فيه وينهاه، وهذا ما أكَّدَ عليه ابن القيم رحمه الله بقوله: [إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجْمَعْ قلبك عند تلاوته وسماعه، وأَلْقِ سمعك، فإنه خطاب من ربك لك على لسان رسوله صلّى الله عليه وسلّم].

ومما يؤسف له أن كثيرا من المسلمين لا يشعر أنه هو المقصود أساساً بالأمر أو التوجيه، وأنه مطالب به، ولكنه يشعر أن الخطاب لغيره، فهو يُبعد المسؤولية عن نفسه، ويُوَزِّعُ الواجبات على غيره، ولهذا لم يتفاعل معها ولم يسع لكي يلتزم بها: فإذا قرأ آيات القصص قصرها على السَّابقين، وإذا قرأ آيات الخطاب والتكليف للرسول صلّى الله عليه وسلّم خَصَّهُ بها، وإذا قرأ حادثة زمن الصحابة فهي لهم فقط، وإذا سمع : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فهي تُخاطِبُ الصَّحابة أو مؤمنين في عالم آخر، وآيات الزكاة والصدقة للأغنياء فقط، وآيات الدعوة والبلاغ للشُّيوخ والعلماء فقط، وهكذا، وإذا بهذا المسلم لم تُوجَّه له آية، ولم يُطالب بحُكم، ولم يُكلَّف بواجب!

٤- أن يتأثر بكل آية يتلوها، فيرتعد خوفاً عند الوعيد وذكر النار، ويستبشر فرحاً عند الوعد وذكر الجنة، ويُطأطأ رأسه خضوعاً عند ذكر الله تعالى وأسمائه الحسنى وصفاته العلا، ويتأسى بأحوال الأنبياء، فيصبر كما صبروا ويرضى عن الله كما رضوا، ويعتبر بأحوال المكذبين، وأنه إذا غفل وأساء الأدب فربما أدركته النقمة.

٥-ومن الآداب العظيمة أن تظهر آثار القرآن على أخلاق القارئ وسلوكه، قال صلى الله عليه وسلم: ((مَثَلُ الْمُؤمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ؛ وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ

الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ؛ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطعْمُهَا مُرٌّ؛ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ)).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون.

٦- الاعتناء بالآداب الظَّاهرية:الوضوء، والتَّطيُّب، ونظافة المكان، ولبس ثياب التَّجمُّل، واستقبال القبلة، والجلوس بسكينة ووقار، ويُمْسِكُ عن القراءة -إذا عرض له تثاؤب- حتى ينقضي تثاؤبه، ويقطع القراءة-وجوباً-لرد السَّلام، ولحمد الله بعد العطاس، ولتشميت عاطس، ويقطعها-ندباً- لإجابة المؤذن.

٧- تعهُّده بالقراءة قال: (تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا).

٨- عدم هجرانه قال تعالى:{وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} [الفرقان:٣٠] وبَيَّنَ ابنُ القيم أنواعَ هَجْرِ القرآنِ، فقال :هَجْرُ القرآنِ أنواع:

أ- هجر سماعِه والإصغاءِ إليه. ب- هجر العملِ به والوقوفِ عند حلاله وحرامه، وإِنْ قرأه وآمَنَ به.

ج-هجر تحكيمِه والتحاكمِ إليه. د-هجر تدبُّرِه وتفهُّمِه ومعرفة ما أراد المتكلِّم به منه.

٩- التدبُّر إذ لا خير في عبادة لا فقه فيها، فيستوعب المعاني؛ لأنها أوامر ربِّ العالمين، ويعين على التدبر التَّرَيُّث في قراءته قال تعالى آمراً نبيه صلّى الله عليه وسلّم أن يقرأ على مهل:{وَرَتِّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً }[المزمل: ٤] وقد امتثل صلّى الله عليه وسلّم أَمْرَ رَبِّه: فعن قَتَادَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بنَ مالِكٍ عن قِراءَةِ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم فقال :((كان يَمُدُّ مَداً))، وتَصِفُ حَفْصَةُ - رضي الله عنها - قِراءةَ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم فتقول : ((كان يَقْرَأُ بِالسُّورَةِ فَيُرَتِّلُها، حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلَ مِنْهَا))فصلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بِسَببِ تَمَهُّلِه في القِراءةِ يكونُ زمانُ قراءةِ السُّورةِ أطوَلَ مِن زمانِ قِراءةِ سُورةٍ أُخرى تَفوقُها في الطُّولِ وعدَدِ الآياتِ.

وفائدة هذا أن يرسخ حفظه ويتلقاه السامعون فيعلَقُ بحوافظهم، ويتدبر قارئه وسامعه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين